قلعة الفرما وضواحيها
" بوابة مصر الشرقية "

أ./ سامي صالح عبد المالك*

تعتبر مدينة الفرما من المدن المصرية التي لعبت دوراً هاماً في حماية بوابة مصر الشرقية منذ العصر الفرعوني وحتى نهايتها خلال فترة الحروب الصليبية أواخر العصر الفاطمي .

وقد عرفت الفرما قديماً خلال العصر الفرعوني باسم برآمون أي مدينة الإلهة أمون ، ثم عرفت في العصر اليوناني – الروماني باسم بلوزيوم ومعناه الطين ، وسميت بعد ذلك خلال العصر البيزنطى باسم برما وهى تسمية قبطية ومنها جاء الاسم العربي الفرما التي لاتزال تعرف به حتى يومنا هذا .

وقد شهدت الفرما نزول العائلة المقدسة بخارجها أثناء هروبهم من فلسطين إلى مصر، كما أنها تعرضت للهدم والتخريب على يد " الرومان والفرس ، و شهدت بعد ذلك الفتح الإسلامي لمصر على يد عمر بن العاص وكانت أول المدن التي قاومت عمر بن العاص واستطاع فتحها وذلك سنة ١٩هـ ، وفيما يبدو على حد تعبير المؤرخ بتلر أن عمرو بن العاص لم تكن معه قوات كفاية فأمر بتخريبها حتى لا يستولي عليها الروماني وخلال الفترة المبكرة من الفتح الإسلامي لمصر أيام الخلفاء الراشدين ومن بعدهم الدولة الأموية ظلت الفرما تذكر كمحطة على الطريق ما بين مصرَ وبلاد الشام دون الإشارة إلى أي نوع من العمارة وظل الموضع كذلك خلال العصر العباسي وحتى أيام الخليفة العباسي المتوكل على الله إذ أصبحت الثغور المصرية تتعرض لعبث الفرنج مما دفع هذا الخليفة أن يأمر واليه على مصر إسحاق بن عتيبة الصبي بتحصين ثغور مصر فكان نصيب الفرما بناء قلعة محصنة وذلك سنة ٢٣٩هـ / ٨٥٣م وصرف على ذلك أموالاً طائلة .

وقد ظلت الفرما بمثابة الحارس الأمين لبوابة مصر الشرقية حتى هاجمها الملك بردويل الأول (بلدوين) ملك بيت المقدس فأمر بإحراقها وتخريبها فاحرق جامعها ومساجدها وذلك بعد أن فشل في الاستيلاء عليها ، ثم كانت النهاية الإبدية للفرما على يد مهلم أخو ضرغام أثناء فترة الصراع ما بين شاور وضرغام على الوزارة وذلك حوالي سنة ٥٦١هـ / ١١٦٥م .

وبعد خراب الفرما أهتم صلاح الدين الأيوبى والايوبيون بوسط سيناء على حساب شمال سيناء بسبب وجود أمارة بيت المقدس وتهديد طريق الساحل الشمالي وخلال العصر المملوكي أصبحت الفرما محجراً لإمداد ضواحيها بمواد البناء من حجر جيرى وأجر وجرانيت ، فتم بناء عدة أبراج على الساحل خلال عصر برسباى سنة ٨٢٨هـ / ١٤٤١م ، ثم تم بناء قلعة الطينة على الساحل أيام السلطان قانصوة الغورى ، وأخذت قطيا وظيفة الفرما كمركز تجارى وجمارك على الطريق ما بين بلاد الشام ومصر ، وتم إعمار مدينة قطيا في الداخل على حساب خراب الفرما ، وقد بدأ الكشف عن هذه المواقع منذ عودة سيناء للسيادة المصرية كاملة حيث أجريت حفائر بقلعة ومدينة الفرما وقلعة الطينة ومدينة قطيا منذ سنة ١٩٨٢م حيث أضافت هذه الحفائر نتائج هامة في الدور الحضاري والعمراني لهذه المراكز الحضارية في سيناء ، ومن خلال هذه الأعمال يمكننا دحض فكرة أن تكون قلعة الفرما المحصنة رومانية حسب الكتابات التي كتبت عنها من قبل ، لعدم وجود الأدلة الكافية ، والتي توافرت لنا من أعمال الحفائر والكشف عن القلعة فقد استطعنا تأكيد أن قلعة الفرما عباسية وتعتبر أقدم أثر عباسي قائم في مصر ، وكذلك من حفائر مدينة قطيا تم الكشف عن جامع الظاهر بيبرس

والعديد من المنقولات ، وأيضاً بالنسبة لقلعة الطينة من خلال الحفائر استطعنا تغير التخطيط المعماري للقلعة الذي تم نشرة عن طريق علماء آثار إسرائيليين ، ويعتبر تخطيطها نموذج فريد في العمارة الدفاعية الإسلامية ولهذا لا يمكن فهم هذه المراكز الحضارية في سيناء إلا من خلال دراسة مترابطة متكاملة حيث توضح أن خراب أحد هذه المراكز كان السبب وراء ظهور مراكز حضارية أخرى تأخذ وظيفتها وتعتبر امتدادا لها .